علم الأنساب

علم أم وهْم ؟!

الباحثة

يشار أيهن

الفهرس

مقدمة

علْم الأنساب هو العلم الذي يدرس أنساب الناس، ويُرْجع كل أحد في سلسلة نسبه إلى أجداده الأولين رجوعاً ينتهي به عند علَم من الشخصيات التي هي معروفة مدروسة النسب مسبقاً .. و لنأخذ الإمام زين العابدين مثلاً : فهو علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، و لما كان هذا الأخير ذا نسب مشهور معلوم في بني هاشم ، فهم يقفون به عند عليّ ، ولا يرون بذلك حاجة لإكماله ..
أو أن يقف النسابة به في عمود النسب المدروس عند آخر من هو معلوم معروف من الأجداد ، كما وقف معظم المحققين من النسابين في نسب النبي محمد (ص) عند جده عدنان ، و لم يجاوزوه إلى اسماعيل بن إبراهيم (ع).

و الغريب المضحك أن لا تجد أحداً بين شعوب الأرض يهتم بالأنساب كاهتمام العرب بها ، في الجاهلية و الإسلام ، و يقولون لك إن الإسلام حض على حفظ الأنساب و الاهتمام بها ، ويروون عن عمر بن الخطاب قوله :

((تعلّموا النسَب و لاتكونوا كنَبَطِ السَّواد ، إذا سُئِلَ أحدهم عن أصله قال : من قرية كذا))!

موقف الإسلام من الأنساب :

نعم ربما يكون الاسلام قد أولى الأنساب اهتماماً خاصاً ، ولكنه كان معنياً بالنسب القريب خاصةً دون النسب المتطاول البعيد ، و إنما جاء اهتمام الاسلام به لغايتين واضحتين :

١- إن الاهتمام بتحديد النسب في التشريع الاسلامي مردّه إلى ما وراء ذلك النسب من الحقوق المحفوظة و الواجبات الملزمة مابين الأصول و الفروع : فالشريعة تلزم الأب برعاية الأولاد و الزوجة و الإنفاق عليهم ، والشريعة أيضاً تفرض الرعاية و الإنفاق على الأبوين عند حاجتهما . و للنسب ما له من أهمية معروفة في توزيع الإرث (الميراث) و فق مقتضيات الشريعة و التي قد تصل إلى بعض الأقارب البعيدين في بعض الأحوال الخاصة ! و حتى في حالات اختلاط أمر النسب و التشكك في صحته – كما في حالة اللعان و حالة الولد من الزنى - فإن الشريعة تقضي بأن يكون نسب " الولد للفراش و للعاهر الحجر " ، حتى تنحصر مسؤولية هذا الطفل و غرم الإنفاق عليه في جهة تحدّدها هذه القاعدة الشرعية الملزمة .

٢ ثم هناك غاية أخرى سامية و هي تحديد و توضيح معالم القرابة بين فروع الأسرة و العائلة و توطيد صلة الرحم فيما بينها ، و في ذلك تمتين لبناء المجتمع و خاصة في المجتمع ذي الطبيعة العشائرية كالمجتمعات العربية عموماً .

و لكننا نستدرك فنقول :

إن الإسلام لم يكن معنياً - على الإطلاق – بالنسَب من حيث هو مفاخرة بالآباء و الأجداد و مجلبة للتباهي و التعالي ، ثم هو بعد هذا لا قيمة له ألبتة في ميزان الله تعالى ، وقد زجر الله نبيه نوحاً أن يستنقذ ولده الكافر من الغرق الذي كان قد قضى به الرب على كل من كفر بدعوة نوح .فقال :" إنه ليس من أهلك ! إنه عملٌ غير صالح ..!" و هكذا فقد أسقط الله نسب هذا الولد من نوح لأنه كفر بدعوة أبيه أصرّ على خروجه عن طاعته . ومثل ذلك نقوله عن النبي إبراهيم و علاقته بأبيه آزر الكافر ..

و مهما يكن من أمر .. فالعرب كانت في جاهليتها أشدّ اهتماماً بالأنساب بعد الإسلام و السبب في ذلك معروف عند علماء الاجتماع ، فـ كلما كان الناس أغرق في بداوتهم كانوا أشد اهتماماً فيما يستحفظونه من أنسابهم ، و ذلك يرجع ألى الطبعة العشائرية في مثل هذه المجتمعات ثم توكيداً للزعامات الراسخة و البيوتات الحاكمة فيه ، فأهلية الحكم عندهم قائمة على العصبيات .

و لعل من المفيد أن ننقل رأي عالم فقيه و مؤرخ عظيم هو ابن خلدون من كتابه : تاريخ ابن خلدون /ج٢/صـ٦-٨ حيث يقول:

((... والحقَ في هذا الباب أنّ كل واحد من المذهبين ليس على اطلاقه، فإنّ الأنسابَ القَريبةَ التي يمكن التوصُّلُ إلى معرفتها لا يَضُرُّ الاشتغال بها لدعوى الحاجة إليها في الأُمور الشرعية من التعصيب والولاية والعاقلة وفرض الإيمان بمعرفة النبي صلى الله عليه وسلم -، ونسب الخلافة والتفرقة بين العرب والعجم في الحرية والاسترقاق، عند من يشترط ذلك كما مرَّ كله، وفي الأمور العادية أيتثبّت به اللُّحْمة الطبيعية التي تكون بها المدافعة والمطالبة . ومنفعةُ ذلك في إقامة المُلْكِ والدين ظاهرةً . وقد كان صلى الله عليه وسلم وأصحابه ينسبون إلى مضر ويتساءلون عن ذلك . وروي عنه -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: " تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم ". وهذا كله ظاهر في النسب القريب، وأمَّا الأنساب البعيدة العَسِرةُ المَدْرك التي لا يوقف عليها إلا بالشواهد والمقارنات، لبعد الزمان وطول الأحقاب، أو لا يوقف عليها رأساً لدروس الأجيال، فهذا قد ينبغي أنّ يكون له وجه في الكراهة، كما ذهب إليه من ذهب من أهل العلم، مثل مالك وغيره، لأنه شغل الإنسان بما لا يعنيه.وهذا وجهٌ قوله صلى الله عليه وسلم فيما بعد عدنان من ههنا كَذَبَ النسابون . لأنها أحْقاب متطاولة ومَعالم دارِسَة لا تُثْلِجُ الصُدُورَ باليقين في شيء منها، مع أنّ علمها لا ينفع وجهلها لا يضر كما نُقل . والله الهادي إلى الصواب.)) انتهى كلام ابن خلدون .

و ننصح القارئ بالرجوع إلى كتاب العلامة المؤرخ ابن خلدون في مقدمتـــه العظيمـــة و مراجعـــة الفصول التالية :

- فصل في أن الصريح من النسب إنما يوجد للمتوحّشين في القفر من العرب و من في معناهم .
- فصل في أن الرياسة على أهل العصبية لا تكون في غير نسبهم .

هل كان من الممكن للعرب حقاً حفظ الأنساب حفظاً دقيقاً و صارماً إلى أجيال بعيدة ؟ :

إذا علمت أن العرب كانوا بدواً أو أشباه البدو من حيث التركيبـــة العشـــائرية في مجتمعـــاتهم القبلية،وكانوا مشهورين بالأمية الغالبة فيهم قال تعالى : " و هو الذي بعث في الأميين رســـولاً منهم .." و قال الرسول ص) في حديث متفق عليه :

" إنا أمّـــة أمّـية لا نكتب و لا نحسب ... " رواه البخاري ومسلم و أبـــو داوود و أحمد و البيهقي .

و ماداموا أميين لا يكتبون ، فقد كان كل اعتمادهم في ما يحفظونه من أنسابهم إنما هو الاعتماد على ذاكرة بعض المهتمين فيهم و كان يُعرَفُ هؤلاء بالنسّابين ، و هؤلاء إنما كانوا يتناقلون ما يعلمونـــه شفاهاً لا كتابةً ، جيلاً بعد جيل، في حقب متطاولة من الزمن قد تبلغ مئات من السنين !

و في مثل هذه الحالة فإن ما هو مأثور من الأنساب قد يداخله النسيان و الوهم و الاختلاط (هذا في حال سلامة النيات) بل و يداخله الوضع و الانتحال و التزيّد (رغبة في نسب تليـــد أو في أرومـــة شريفة أو في طلب عصبية للملْك ...) .

و ما دام الوضع كما ترى فأي أنساب يمكن أن تثبت ثبوتاً قطعياً في سلسلة من الآباء و الأجداد قد تهوي في عمق التاريخ بضعة عشر قرناً أو يزيد !!

فلـــنأخـــذ على ذلك مثـــالاً :

إن الرسول الكريم محمد (ص) هو أعظم شخصية عربية أخرجها التاريخ بلا منازع _ و ما نقـــول ذلك عن عاطفة دينية ، بل نرى ذلك من حيث مكانته بين العرب و من حيـــث أثـــره العظـــيم في صيرورة التاريخ من بعده – و لكنه و رغم عظمته بين العرب و المسلمين لا يزال كثير من شؤونه و من الأحداث الجسام في حياته هي موضع جدل في تحديد زمنها التاريخي بدقة ، وذلك للأمية السائدة في قومه و لانقطاعهم شبه التام عن مجريات التاريخ العالمي ، فمولده (ص)ربما كان مجهولاً لولا أنه مقرون بعام الفيل (حملة أبرهة الحبشي) ، فمن خلال معرفة المؤرخين بتاريخ دقيق لهـــذه الحملـــة

الفاشلة على مكة عرفنا أن عام الفيل كان في سنة ٥٧١م . و مثل ذلك عن تاريخ بعثه نبياً و كم كان عمره على و جه الدقة .. ففي ذلك خلاف !!.

و أما عن نسبه الكريم (ص) فهو معروف مشهور في بضعة آباء تصل به إلى عدنان (على أن ثمة خلافاً شديداً في أمهاتهم) ، ثم بعد ذلك يبدأ التخرص و الكذب و الوهم فيمن بين عدنان مرفوعين إلى اسماعيل بن إبراهيم (ع) .

(راجع في شأن نسب النبي (ص) تاريخ الطبري و كتاب البداية و النهاية لابن كثير (ج٢ ص ١٩٨-٢٠١)و كلاهما مؤرخ و نسابة و عالم بالحديث و الفقه و أيضاً السيرة لابن هشام ، فقد جاء في هامش الصفحة الأولى :

روي عن عروة بن الزبير أنه قال : " ما وجدنا أحداً يعرف مابين عدنان و إسماعيل" و يروى عن ابن عباس(ض) :بين عدنان و إسماعيل ثلاثون أباً لا يُعرفون " . و قد صحَّ عن رسول الله أنه انتسب إلى عدنان فلم يتجاوزه .

و لقد روي من طريق ابن عباس أن النبي لما بلغ (في ذكر نسبه) عدنان ، قال : فما بعده "كَذَبَ النسابون " قالها مرتين أو ثلاثاً.

فإذا كان هذا شأن أعظم العرب نسباً و مكانة و حرمة ، فما ظنك بمن هم دونه من الملايين من الكذبة ممن يتخرّصون لأنفسهم الأنساب الشريفة زوراً و بهتاناً !.

أسباب الادعاء في النسب :

سنبحث ها هنا أهم الدوافع النفسية التي كانت تغري ضعفاء النفوس و تدفع بهم إلى انتحالهم نسباً عربياً ما ، وهي :

١- نظام العطاء (الأعطيات):و هي غنائم حروب الفتوحات في صدر الاسلام ، وكانت جزيلة جداً. و لم يكن المشاركون في هذه الحروب ينالون حصصاً متساوية فيما بينهم ، كما قد يُظَن، بل كان توزيع الغنائم يخضع لاعتبارات كثيرة منها : السابقة في الاسلام و منها العراقة في العروبة و منها موقعك من النسب الهاشمي ... إلخ.

٢- نظام الخمس : و هو خمس ما كانت تتحصله الدولة الإسلامية من الضرائب و الغنائم و الصدقات و غيرها و لهذا الخمس وجوه لصرفه و توزيعه من أهمها : أن تكون من آل البيت (البيت النبوي).

٣- المعاملة العنصرية التي مارسها العرب الفاتحون على شعوب البلاد المفتوحة ، و كانت تتجلى هذه المعاملة القاسية في نظام الولاء في الدولة العربية الإسلامية ، و هونظام اجتماعي طبقي يقـــوم على تقسيم الناس إلى ثلاث فئات :

١. فئة العرب السادة و منهم عادة القادة و الخلفاء و معظم الأمراء ..

٢. فئة الموالي : وهم المسلمون من غير العرب ، سواء أكانوا أرقاء أو أحراراً ، فهم في طبقة العبيد ..

وهؤلاء كان يفترض شرعاً أن تسقط عنهم الجزية لمجرد دخولهم في الإســـلام .. ولكنَّ الخلفاء المسلمين من بني أمية ظلُّوا يفرضون الجزيةَ حتى على مَنْ أسلم من شعوب فارس وخراسان وبلاد " ما وراء النهر" بضعةَ عقودٍ من الزمن !! [1]

[1] حدَثَ في ما وراء النهر (تركستان) أنْ راجع المسلمون من أهل هذه البلاد عاملَ بني أمية علـيهم (أي الـــوالي الذي ينوب عنهم وكان دائماً من العرب)، وسألوه باسم الدين الذي اعتـــنقوه أن يسقط عنهم هـــذه الضـــريبة المخزية المذلــّة ، والتي لا يجوز شرعاً أن يدفعها من أسلم ؛ فما كان جواب سادته الخلفاء الأمـــويين إلا أن قـــالوا لعاملهم هناك :

" لعل هؤلاء ما أسلموا إلاّ لنرفعَ عنهم الجزية " ؟! ..

فلما طالتِ السّنون ، وقام الشعب الذي أسلَمَ في "ما وراء النهر " ببناء المساجد من نفقاته وتبرُّعاته الخاصة ، وأكثَرَ مِنْ بذل الأموال في سبيل الله .. خَجِلَ الوالي (عامل بني أمية عليهم) ، فعاد يسأل ســـيّدَه الخليفةَ الأموي أن يسقط عنهم الجزية موضِّـــحاً له أن هؤلاء -رغم دفعهم الجزية ظلماً وعدواناً - قد ثبت رسوخهم في الإســـلام ، بـــل وعمروا المساجد وساهموا في الصدقات ؛ فإسلامهم إذن لا يمكن أن يكون تهرّباً من ضريبة الجزية !. . ولكنْ.. مرةً ثانيةً .. يأتي الجوابُ عليه أسوأ من الأول وأمعنَ في الظلم وفي التفرقة العنصرية بين العرب وغير العرب من المسلمين .. كان الجواب : " أبْـــقِ على الجزية .. فالخزينـــة بـــحاجة إلى المال " ! . (راجع في شأن الموالي و معاملـــة العرب لهم :ت.الطبري ج٤ \ص٦٤و ما بعدها و ص ١٢٩وما بعدها - و البداية والنهاية لابن كـــثير ج ٩ ص ٢٥٩ و ما بعدها -و صـــ١٤من كـــ(أبو العتاهية) لعبد اللطيف شرارة من سلسلة أعلام الفكـــر العـــربي - - فتوح البلدان للبلاذري ج ١ ص ٤١٧ و ما بعدها و-العقد الفريد لابن عبد ربه ج ٣ ص ٤٠٣ وما بعدها - و أيضاً : تاريخ الأدب العربي\ ج٢ص٢٠٧ وما بعدها\ د.شوقي ضيف).

و حتى الخلافة ، وهي منصب إسلامي شرعي ، يفترض أن يستحقّه أصلح المسلمين للحكم خلقـــاً و اســـتقامةً و اقتداراًولكن شيئاً من ذلك لم يكن حتى في ذلك المجتمع العربي الإسلامي الأول ، و إنما فرض الواقع الاجتماعي العشائري القبلي نفسه في جعل الخلافة مخصوصة في قريش بل انحصرت فيما بعد في عائلتين منها : بني أمية و بـــني هاشم .. وليس ذلك من تعاليم الإسلام في شيء .

٣. أهل الذمة : وهم المعاهدين من أهل الكتاب من اليهود و النصارى ، أو من هو في عدادهم من الصابئة و غيرهم ، و هؤلاء ملزمون بدفع الجزية .

٤- الافتخار و التيه و العُجْب : فعلى الرغم من أن الإسلام حارب ذلك بقوة في القرآن الكريم و في السنة الشريفة :

قال تعالى :" إنَّ أكرمَكُمْ عــند الله أتــقاكم ".

وجاءتْ أحاديثُ الرَّسول لتؤكّدَ هذا المبدأ وترسِّخَه وتزيل عنه كلَّ لبــْس ، فقد قام الرسول خطيباً في مئات بل ألوف من المسلمين في عَرَفات في حَجَّة الوداع ، فقال : " أيها الناس كلُّكــم لآدم .. وآدمُ من تراب ، لا فضلَ لعربي على عَجَمي إلا بالتقوى ".

فإن ذلك لم يغير شيئاً من طبيعة الوضع الاجتماعي ، و و جدت صحابياً جليلاً كأبي ذر ينفجر في و جه أحد أعظم الصحابة قدراً و سابقةً في الإسلام و هوبلال الحبشي ، فيشتمه و يحقّره في لهجــة متعالية خرجتْ من نفس لم يغسل الإسلام شيئاً من جاهليتها،فيقول لبلال في ساعة غضب : ".. يا ابن السوداء " !! .. فلما بلغ ذلك رسول الله ، غضب و قال لأبي ذر كلمةً خالدة وبّخه فيها :

"إنك امرؤ فيك جاهلية !! " .

نظــام الولاء في المجتمع الإسلامي الأول:

و أما نظام الولاء فهو نظام اجتماعي نشأ بعد انتشار الفتوحات العربية الإسلامية ، و كانت تنضوي بموجبه الأسر غير العربية المسلمة – مهما كانت تحمل من مجد سالف و من ســؤدد عريــق - في ولائها إلى أحد البيوتات أو القبائل العربية جلباً للجاه و الحماية و الاستقواء بها في مجتمع عــربي عشائري قبلي مارس عليها عنصرية ظالمة .. فكانت بذلك تبحث لنفسها مرغمة عن قبيلة عربية ما ترضي بأن تلحقها بها ولاءً لا نسباً .!

و من حسن حظ الحقيقةو التاريخ أن العرب كانوا يتكبّرون حتى على من حالفهم من مــواليهم ، ويحرصون كل الحرص أن لا تختلط أنسابهم بأنساب هؤلاء العبيد أو أشباه العبيد مــن المــوالي .. لسببين :

- أولهما : أن الاسلام يحرّم الإلحاق بالنسب تحريماً مطلقاً و يمنع التبني منعاً قاطعاً .
- ثانيهما : أنــف العربي الشديد من أن يُلْحَــقَ بنسبه أحدٌ من العلوج !

على أن ذلك - و لله الحمد -حفظ لنا أصول الكثرة الكاثرة من العلماء و الشخصيات المســلمة العظيمة (و جلّهممن غير العرب) واضحةً صريحةً ، و نحن اليوم نعلم أنسابهم في العجم و جنسياتهم

.. و لولا ذلك لضاعت جنسياتهم و لما عرفنا عن أصولهم شيئاً ، خاصةً أنهم كانوا يتسمّون بأسماء العرب ، ويكتنون بكنياتهم !!

خـــذ أمثـــلـــةً على ذلك :

- الشبلي : و اسمه دُلَف بن جحدر (٢٤٧-٣٣٤هـ) : وهو تركي الأصل من قرية شبلة من بلاد ماوراء النهر (تركستان).
- عجيف بن عنبسة : كان قائداً عسكريًا بارزاً في عهد المعتصم ، وهو تركي الأصل من قرى سمرقند.
- محمد بن خازم التميمي ولاءً (ت ١٩٥هـ): أحد حفاظ الحديث . من الموالي .
- أبو جعفر القارئ (ـت ١٣٢هـ) : اسمه يزيد بن القعقاع المخزومي ولاءً . أحد القراء العشرة . من الموالي .

حمّى " النسب العربي " و آثــارها :

و هكذا فلقد فاجأ العرب الشعوب الأخرى التي خضعت لهم بحمى "النسب العربي العظــيم " ، و تركت هذه الحمّى (ومن أبرز أعراضها التكبر و التعالي و تحقير الغير) في نفوس تلك الشعوب آثاراً و جراحاً بليغة ، كان من بعض آثارها فقط :

١. سقوط دولة بني أمية و وصول بني العباس إلى عرش الخلافة ، وكلنا يعلم أن الثورة العباسية هي في حقيقتها ثورة الموالي على الظلم العربي لهم في ظل الخلفاء الأمويين المتعصبين للعرب .

٢. ظهور الشعوبية وهي نزعةٌ قامتْ على مُفاخَرة الشعوب الأعجمية – وفي مقدمتها الشــعب الفارسي- للعرب مفاخرةً تستمدّ من حضارتهم العريقة و مما كان عليه العرب من بــداوةٍ و حياةٍ خشنة غليظة ".. وكانت تعبِّر - فيما صدر منها من آثار شعرية أو أدبـــــية - عــن ألم نفسي عميق تركتْه المعاملةُ العنصرية القاسية التي مارستْها الدولة العربية الإسلامية (في عهد بني أمية بوجه خاصّ) تجاه شعوب البلاد المفتوحة ..

٣.ظهور عمليات ادعاء لـ لنسب العربي و اختلاق أنساب عربية ما (كالنسب في تميم أو طيء أو هذيل ...) هذا كان في القرون الثلاثة الأولى من الهجرة . أما ما بعد ذلك فالنسب المكذوب لم يعد يجدي إلا أن يكون في آل البيت .

و قد جاء في كتاب الشعر و الشعراء في العصر العباسي للدكتور مصطفى الشكعة – صــــ١٧٦ مايلي :

"و أما علي بن خليل، فإنه في شعوبٍ يقرن بين الموالي و التدين ،وبالتالي يربط بين العرب و قلــة الدين ، و ذلك حين ادعى أحد الموالي من أصدقائه نسباً عربياً في تميم ، وكان كثير من الموالي يسعى للاستلحاق بالعرب و كسْ ب نسبٍ عربي ، فلم يعجب ذلك علياً و قال مقرّعاً صديقه ساخراً من العرب :

يـــا أيها الراغـــب عن أصله	ما كنتَ موضعَ تَـــهْجـــينِ
متى تَعَـــرَّبتَ ؟! وكنْتَ امرءاً	مـــن الموالي صـــالح الـــدينِ
لو كنتَ إذْ صِرْتَ إلى دعوة	فُـــزتَ من الـــقومِ بـــتمكينِ
لَـــكَفَّ من وجدي ،و لكنني	أراكَ بين الضبّ و الـــنونِ "

(و أنا أهدي هذه الأبياتللأستاذ باسل العطاسي ثم الأتاسي الذي حشر قومــه التركمـــان في أنساب العرب حشراً ، و لكنهم لفظوه و لفظوا آله لفظَ النواة) ...

و لقد شغلت "حمى النسب العربي "الناس في تلك العصور ، و راجت صناعة النسب العربي و طغت و لكن يبدو أنها كانت لا تزال حتى القرن الهجري الثالث صعبة و عصية بعض الشيء ، و لعل ذلك لقرب العرب الأقحاح في ذلك العهد من عصبية العرب الأولى ومن صفاء أنسابها ، و مما يدل على ذلك تنبه بعض سادة العرب و شعرائهم لهؤلاء الأدعياء ، فكان موضوع صحة النسب في العرب (صليبةً لا ولاءً) موضع تشاتم و تهاجٍ .. و لعل أبرزهم في هذا المجال الشاعر العربي الكبير دعبل الخزاعي الذي طالما بكى على مجد العرب الا زائل ، و طالما آلمه أن يرى هنا و هناك كثيراً من العجم المندسّين في الأرومة العربية ، يفترون لأنفسهم نسباً عربياً لا يعلمه الله و لا يرضاه !!

هاهو شاعرنا (دعبل) يقوم برحلة إلى مدينة قم الفارسية ، فيصدمه ما يرى فيها من كثرة أولئك الذين زعموا له أنهم من العرب ، وجعلوا يقدمون له من أدلة في انتمائهم المكذوب في العرب ، حتى ضاقتْ نفسُه و برم بهم و بأكاذيبهم ، وجعل يقول :

ظلَّتْ بقمَّ مطيتي يَعتادُها ... همّان : غربتُها ، و بُعْدُ المَدْلِجِ

ما بين عِلْجٍ قد تعرَّبَ فانتمى ... أو بين آخرَ مُعْرِبٍ مستعلجِ([1])

و هاهو دعبل يهجو أحمد بن أبي دؤاد (و كان قاضي القضاة و مستشار الخليفة العباسي المعتصم) ، و كان من الموالي ، و يبدو أنه كان على خطورة منصبه ربما يستشعر وضاعة أصله لكونه غير عربي الأرومة ، فرغب في الزواج من بني عجل و هم من سراة العرب و من أشرفهم نسباً و حسباً ، طلباً للالتحاق بنسبهم ، و لعل ذلك يرفع من شأنه و يعفّي على أصله العجمي المستهجَن ! و يبدو أن شهية ابن أبي دؤاد قد تفتَّحتْ على ذلك فصادف أن تزوج اثنتين من نسائهم في سنة واحدة !!..

فماذا قال دعبل فيه ؟! تعال نقرأ معاً (صـ٢٩ من الديوان) :

غَصَبْتَ عجْلاً على فرجين في سَنةٍ ... أفسَدْتَهم ثمّ ما أصلحْتَ مِنْ نسبكْ

و لو خطبتَ إلى طوقٍ و أسرتِه ... فزوّجوكَ لما زادوكَ في حسَبكْ

نكْ مَنْ هَوَيْتَ ، وقلْ ما شئتَ مِنْ نسبٍ ... أنت ابن زريابَ منسوباً إلى نسَبكْ

و لو سكتَّ و لم تَخطُبْ إلى عربٍ ... لما نَبَشْتُ الذي تَطْويه مِنْ سَببكْ

و قال دعبل أيضاً يهجو مالك بن طوق التغلبيّ ، و كان هذا يزعم أنه ينتمي إلى الشاعر الجاهلي الشهير عمرو بن كلثوم التغلبي ، وكان (مثل صاحبنا الأستاذ باسل الأتاسي) مشغولاً بذلك النسب ، لا يألوا جهداً في محاولة تأكيده و اصطناعه .. قال دعبل:

---

[1] ديوان دعبل : صـ ٥٣

الناس كلّـــهُمُ يسعى لحاجـــته   مابـــين ذي فَرَحٍ منهمْ و مهمومِ
و مالكٌ ظلَّ مشغولاً بنسبتـــه   يَـــرُمُّ منـــها خراباً غيرَ مرمـــومِ
يـــبني بيوتاً خراباً لا أنيسَ بها   ما بـــين طوقٍ إلى عمرو بن كلـــثومِ (١)

بديهةً .لم يكن جميع الأعاجم من هذا النوع من المتزلّفين للانتساب إلى العرب ،و المنحشـــرين في أحسابهم انحشاراً (كما يفعل الاستاذ باسل العطاسي ثم الأتاسي) .. بل لقد كان رد فعل الآخرين منهم مغايراً تماماً ، إذ انقلب شعوبية على العرب ، و بغضاً لهم ، و انتفاءً منهم بل و الفخر علـــيهم بأروماتهم الأعجمية ذات الحضارات العريقة العظيمة في الفرس و الروم و غيرهم .

لعل أعظم من يمثل هؤلاء هو أبو نواس ، ها هو يقول في إحدي خمرياته :

و ما شـــرّفَـــتْني كنـــيةٌ عربـــيةٌ   و لا أكسبتْـــني لا ثـــناءً و لا فـــخرا

و يقول في أبياته الشهيرة ، ساخراً من العرب و من وقوفهم على الأطلال :

عاجَ الشقيّ على رسْمٍ يُسائلُهُ   و عُجْتُ أسألُ عن خمّارة البلدِ
لا يُرقئ الله عيني مَنْ بكى حجراً   ولا شَفَى وجْدَ مَنْ يصبو إلى وتَدِ
يبكي على طَلَلِ الماضين من أسَدٍ   لا درَّ درُّكَ قل لي مَنْ بنو أسد ؟!
و مَن تميم و مَن قيس و إخوتُهمْ ؟!   ليس الأعاريبُ عند الله منْ أحَدِ

و يقول في موضع آخر هازئاً بالعرب :

إذا ما تميـــميٌّ أتـــاكَ مفـــاخراً   فقلْ عدّ عَنْ ذا .. كيفَ أكلُكَ للضبّ ؟!!
تـــفَاخر أبناء المـــلوك ســـفاهةً   و بولُكَ يجري فوقَ ساقك و الكعْبِ
إذا ابـــتَدَر الناسُ الفعَالَ فخذْ عصاً   و دَعْدِعْ بـــمعزى يا ابنَ طالقة الذَّرْبِ

وقريب من ذلك كان موقف ديك الجن الحمصي (١٦١-٢٣٥هـــ وهو رومي الأب فارسي الأم) ، حين هجا رجلاً من أشراف العرب يبدو أنه عامله بشيء من التمييز و العنصرية عن غيره من زائريه من العرب ، فغضب لذلك ديكُ الجنّ ــ وكان عزيزَ النفْس ــ وأدار ظهره لهذا العربي المتعجـــرف قائلاً :

إنْ كانَ عُرْفُكَ مَذْخُوراً لذي سَبَبِ   فاضْمُمْ يَدَيْكَ على حُـــرٍّ أخي نسَبِ
أو كنْتَ وافَـــقْتَهُ يوماً على نَـــسَبِ   فاضْمُمْ يَـــدَيْكَ فـــإني لسْتُ بالعربي
إني امرؤٌ ماجدٌ في ذروَتَـــيْ شَـــرَفٍ   لقيصرٍ و لكسْرى مـــحْتِدي وأبـــي(١)

---

[1] (الديوان صـــ١٤٤)

لمـــاذا أصبح الادعاء في النسب محصوراً إلى آل البيت الهاشمي دون غيرهم من العرب :

ليعلم القارئ أنه فيما بعد القرن الهجري الثاني و حين دالت دولة العرب ، و صار زمام الحكـــم – حتى في البلاد العربية -في أيدي الأعاجـم من فرس (كالصفاريين و الطـــاهريين و الســـامانيين ثم البويهيين) ثم ترك (كالسلاجقة و المماليك و العثمانيين .. و غيرهم) أو بربر (في شمالي أفريقية) فقد تغيّر مدار الأمور و لم يعد للنسب العربي العادي (كالنسب إلى تميم مثلاً أو ذهل أو شيبان أو قضاعة أو كلب أو غيرها) أي قيمة ، و لم يبق لغير النسب الهاشمي مكانة أو شأن ، و حتى هؤلاء فإن ما بقي من احترامهم لم يكن لبقية باقية من رياستهم و لا من عصبيتهم ، وإنماذلـــك تقـــديراً لقرابتهم إلى نبي المسلمين جميعاً من عرب أو عجم .

و إذن.وقد صارت الأمور إلى حيث رأيت ، فقد تغيّر منحى الكذب في الأنساب و في و جهة اختيارها ، و لم يعد للنسب في ثقيف و لاتميم – مثلاً – قيمة ولا فضل ؛ فماذا يفعل الآن من أراد أن يختلق لنفسه و لآله نسباً شريفاً يسمو به و يرتفع ؟!

طبعاً .. لم يبق له سوى الانتساب إلى بني هاشم قوم النبي (ص) .. وما دام الأمر كذباً في كذب ، فما يمنع أن يكون للمرء نسب في بني المطلب (و هم صفوة بني هاشم) ، ثم لماذا لا يكون من صفوة هؤلاء ..

أي : لماذا – والأمر غاية في السهولة – لا يكون من نسل محمد (ص) نفسه ؟!

قل لي ما يمنعه ، و الأمر أصبح موضة ، وهو لا يكلفه شيئاً سوى الادّعاء ، و القضية ما عاد فيها حياء و لست وحدك من تكْذب ، فحولك ممن سبقكَ إلى هذا من الكَذَبة الأدعياء كثير مما شاء الله : أسر هنا و عائلات هناك .. لا تعدّ و لا تحصى ؟!!.

و لكن ما حيلتنا في ذلك و النبي لم يُعْقب أولاداً ذكوراً ؟! .. إذن ليس أمامنا سوى المساكين أولاد عليّ من فاطمة !!

[1] ديوان ديك الجن ص١٥٦ + كـــ الشعر والشعراء للشكعة ص ٥٧٨.

و هكذا .. ففي كل بلد عربي و إسلامي آلاف مؤلفة من الأسر تزعم أنها من نسل فاطمة الزهراء (حسنيين أو حسينيين)؛ و اذهب إلى إيران فحسب .. ثم قفْ في حشْدٍ من حشودها (في مسجد .. في صلاة جمعة مثلاً) ثم انظر .. فكل ذي عمامة سوداء هو سيد فاطميّ النسب !!
و معظم الأسر في كل مدينة من مدن سورية (ولا سيما التركية الأصول منها)هي هاشمية حسينية صريحة النسب لا يأتي نسبَها الباطلُ من بين يديها و لا من خلفها !!.
و لن أطيل عليك .. و لكن اقرأ في الكتب العربية السورية المعنية بهذا الشأن (مثل : كتاب الجذر السكاني الحمصي للأستاذ نعيم الزهراوي – و كتاب الأسر و الأعلام الدمشقية للدكتور محمد شريف الصواف) فلسوف تأخذك الدهشة و العجب .. هل من المعقول أن رجلين مفردين (هما الحسن و الحسين) خرج من صلبهما هذه الملايين الطاغية من المسلمين (ربما بلغ عدد السادة الموسويين الحسينيين في إيران وحدها ملايينا)!! .

و السؤال الآن لماذا كانت هذه الظاهرة أكثر تفشّياً في أهل العراق و بلاد الشام و إيران ؟!

أولاً : لأن هذه البلاد على وجه الخصوص (و بالمقارنة مع بلد كالسعودية) تزاحمت عليها هجرات و غزوات و حكومات شتى من جميع الأعراق و القوميات منذ فجر التاريخ و حتى يومنا هذا ، و على أراضيها تصاهرت شعوب و تعاركت ملل ، و داخل أنسابهم سبي المغيرين و اغتصاب الحرمات و جلب الجواري ، و ضاعت الطاسة كما يقولون ، و لم تعد تعرف المقيم فيهم من الظاعن، ولا الغريب من الأصيل ، ودار الزمان دوراتٍ و دورات و مسح ملوكاً عرباً و جاء بآخرين من قوميات شتى .. حتى من الأوريين الصليبيين الذين حكموا معظم الساحل السوري و فلسطين ما يزيد عن مائة و خمسين عاماً ..
و هكذا فمثل هذه البيئة المهجنة الضائعة الهوية و الأنساب هي خير مكان لمن أراد أن يزوّق لنفسه نسباً شريفاً مفصلاً على مقتضى طلبه !

وأما في إيران فلا يخفى عليك ما لآل البيت من الإمامة و الحظوة و التكريم و الجاه و الصدارة عند الشعب الإيراني المسكين المحقون بالأحزان على آل النبي ، و المملوء حتى الغَصَص بقصص الاضطهاد للحسين و آله ، ثم لا تنس ما يناله السادة الموسويين عندهم من أموال فإن لهم نصيب مهم من

الخمس أو(قاف و هبات و صدقات وزكاة الموسرين من الشيعة) ، فهل تريد أسباباً لانتحال النسب الهاشمي فوق ما ذكرت !

و أما العراق و بلاد الشام : فكانتا خاضعتين للدولة العثمانية أربعة قرون .. و معروف عن العثمانيين مدى تدينهم و صوفيتهم التي دفعت بهم إلى تكريم الأولياء و العناية بآثارهم و إقامة التكايا و المساجد على قبورهم .. هذا كله لأولياء الصوفية ، فكيف لمن هم ينتسبون للبيت النوي الشريف ! لقد كانوا يخصونهم بكل التبجيل و الثناء و التودّد ، و لقد كان في كل مدينة نقيب للأشراف كان مشاركاً مهيباً في السلطة إلى جانب الوالي التركي ، و فوق ذلك ما كانت تخصصه الدولة لهم من عائداتها تكريماً لنسبهم الشريف، إلى جانب مزايا أخرى عديدة ..

و كانت الدولة العثمانية لعنايها البالغة بهم ، و تنظيماً لأمورهم و محاولةً لحصر أعداد المنتسبين الجدد إلى البيت الهاشمي ، قد شكّلت لهم نقابة خاصة في كل مدينة ، كانت تسمى "نقابة الأشراف" كان يرأسها نقيب يتم اختياره من بين أبرز وجوه هذه الأسر الهاشمية (المزعومة) و أرسخها نسباً ، و هو مسؤول عن شؤونهم و مطالبهم و أحد أركان السلطة حيث يكون ..

و بين الحين و الحين كان يأتي أحد الناس مهاجراً إلى دمشق أو حمص مثلاً قادماً من بغداد أو من الموصل أو من المغرب حاملاً معه كذبته الجاهزة في انتمائه إلى الحسين أو الحسن ، و لم يكن يكلفه الأمر من العناء سوى أن يأتي بمشجرة نسب مزعومة يشهد عليها اثنان ذوا عدل من المسلمين (و ما أكثرهم !) مع تمهيد و ترطيب لصاحب الجناب الكريم نقيب الأشراف (المغموز النسب أصلاً) ، فإذا أجازه هذا النقيب الدعيّ ، فقد أصبح عند الناس و عند الدولة العثمانية المسكينة هاشمياً أصيلاً !

و لا تعجب .. فقد تكاثر هؤلاء الهاشميون المزيفون في أواخر العهد العثماني (وخاصة في سورية) مما دفع بالسلاطين العثمانيين إلى إصدار فرمانات متتالية - بين حين و آخر – تحضّ السادة النقباء الأشراف ليكونوا أكثر تدقيقاً و حرصاً و تأنياً في قبول طلبات الانتساب إلى آل البيت ! ([1])

و لكن ما رأيك إذا كان نقيب الأشراف هذا نفسه كاذباً دعياً في انتسابه إلى العرب ، فضلاً عن انتسابه إلى آل البيت !

و نذكر على ذلك أمثلة ممن كانت فيهم نقابة الأشراف في مدن سورية :

[1] راجع في هذا الشأن كتاب مجتمع مدينة دمشق ج٢-صـ٤٤٨-٤٥٣ .. للدكتور يوسف جميل نعيسة

فآل الكواكبي (في حلب)أصلهم تركمان من أذربيجان و هم بحسب اعتــراف هم ينتســبون إلى الشيخ الصوفي صفي الدين الأردبيلي رأس الأسرة التركمانية الصفوية التي حكمت إيران . فهــم و الصفويون أولاد عمومة كما ترى([1]).

آل المرادي (في دمشق) : و هم أتراك أصولهم من بخارى . (راجع الأعلام للزركلي)

آل العمادي (بدمشق) : و هم أيضاً أتراك و أصلهم من سمرقند . (راجع الأعلام للزركلي).

و غير هؤلاء كثير كثير لا يتسع المقام لسردهم و إحصائهم .

هاهم العباسيون و هم الهاشميون الأقحاح الذين لا شبهة في هاشميتهم (و كانوا خلفاء للمسلمين ما يقارب الأربعمائة عام) ،

و مع ذلك فقد فرط عقدهم ، وضاعت سلالتهم ، و فقد أعقابهم بعيد سقوط بغداد بيد هولاكو ، و قتله لآخر خليفة عباسي عام ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨ م ..

حتى إذا جاءت معركة عين جالوت بعد سقوط بغداد بعامين فقط (عام ٦٥٨ هـ/ ١٢٦٠م) ، و انتصر به المماليك الأتراك بقيادة بيبرس و قطز على جيش المغول الغازي ، رجع بيبرس من فوره إلى مصر ، و قتل الملكَ المظفرَ قطز ، و استبدّ بحكم مصر و لكنه أراد أن يدعم حكمه بسند شــرعي ، فأرسل باحثاً عن أحد ممن تبقىّ من بني العباس الهاشميين ، لينصّبه خليفةً علــى المســلمين ، بشــقه الروحيّ فقط ، فيبارك له حكمه دون أن يكون له من الأمر شروى نقير .

واستغرق البحث سنتين حتى عثروا أخيراً على رجل اسمه أحمد زعم لهم أنه عم الخليفة المستعصــم (آخر الخلفاء العباسيين في بغداد) .. ، و كان قد أحضر لهم معه شهوداً من العربان و البغــداديين على صحة نسبه في بني العباس فبايعه السلطان و الأمراء و العلماء بالخلافة في ينــاير مــن عــام ١٢٦٢م .([2])

---

[1] راجع بشأن آل الكوكبي كــ : التعريف بالنثر العربي الحديث \ د. الأشتر\صــ١٣١ - و كــ: المشرق العربي في العهد العثماني \ د. عبد الكريم رافق \ ط ٥: جامعة دمشق

[2] راجع في هذا الشأن كتاب : قيام دولة المماليك الأولى في مصر و الشام للدكتور أحمد العبادي صــ ١٨٢+ ١٨٣

دراسة مسألة آل الأتاسي و نسبهم الهاشمي المزعوم :

مقدمة : (راجع كتاب الجذر السكاني الحمصي للأستاذ نعيم الزهراوي صـ٢٩١-وحتى صـ٣٢٠)

يرجع آل الأتاسي في نسبهم إلى جدهم الأعلى الشيخعلي الأتاسي الذي هاجر من تركيا إلى حمص في النصف الأول من القرن الهجري العاشر (النصف الأول من من القرن ١٦ الميلادي) و أول مجدهم يرجع إلى جدهم الشيخ " أحمد بن خليل بن عليّ الأتاسي " ، و هو أول من تقلد منصب الافتاء في مدينة حمص من قبل السلطان العثماني سليمان القانوني عام ٩٦١م .

و قد ذكر الدكتور المؤرخ المدقق : قتيبة الشهابي عن الألقاب ما يلي :

الأتابك : لقب تركي من (أتا أو أطا) بمعنى الأب أو الشيخ المحترم . و (بك) و تعني الأمير .

فيكون معنى الأتاسي أو الأطاسي : أبوهم أو شيخهم ، لأن إضافة اللاحقة "سي" في التركية تقابل الضمير المتصل " هم "في العربية .

و قد جاء في كتاب المحبي في ترجمة الشيخ أحمد بن خليل بن علي الأتاسي ما يلي :

" هو أحمد بن بن خليل بن علي التركماني في الأصل المعروف بالأطاسي ، و كانت وفاته سنة ١٠٠٤هـ/ ١٥١٥م ".

توكيد أصلهم التركماني :

- قد توافق على ترجمة الشيخ أحمد الأطاسي هذأربعة متعاقبين من أبر ز علماء التراجم و الرجال في زمنه و ما بعده بقليل وهم ابن الحنبلي و المحبي و الغزي و العلبي ، و كلهم اتفقوا على أصله التركماني ، و قد صرّحوا به تصريحاً قاطعاً من دون أدنى تشكك أو احتياط أو تحفظ ، ثم لم يذكروا في نسبهم سوى ذلك .
- الأقوى من ذلك كله ، أن يسمع و يقرأ علماء بني الأطاسي (الأتاسي) الأولون (و كلهم من العلماء الفقهاء ، وليسوا من الأميين و لا من المغمورين الجهلة) ما كُتِبَ عن أصلهم التركماني فلا تجد أحداً منهم يعترض على ما ذكره المترجمون ، و لا يعقّب عليه و لا يستدرك ، لا في كتاب و لا رسالة و لا حتى حديث مأثور مشهور ..
- و ظل الأمر على هذا النحو ، و ظلت الأسرة لا تنكر أصلها ،بضعة قرون ، و هم في منأى عن حمى النسب الهاشمي المعدية التي أَلَـمَّتْ بمعظم الأسر الحمصية في القرون الأخيرة ، .. وحتى في أوائل القرن العشرين كتب الشيخ محمد أبو السعود الأتاسي مخطوطاً ، نشره الأستاذ باسل الأتاسي ، ذكر فيه بشكل موجز و دقيق سلسلة آباءه و الناهين من آل الأتاسي فلم يذكر شيئاً من أكاذيب انتسابهم إلى آل البيت الهاشمي . و لم يذكر – على اهتمامه بذكر

أمجاد آل الأتاسي – لم يذكر أن أحداً منهم (و جلهم علماء و وجهاء) تقلد نقيباً للأشراف !!

- و لعل آل الأتاسي في أولية نزولهم في حمص لم يكونوا ليجرؤوا (ربما مخافةً أو أنفاً) أن يزعموا لأهل حمص ما زوره فيما بعد بعض أغبيائهم من انتمائهم إلى نسب هاشمي شريف ، و لا سيما أن ذلك كان ممتنعاً فيمدينة تعج بأدعياء هذا النسب ، و في خضم منافسة شديدة من أسر حمصية هي أعرق منهم قدماً فيها ، و أعتق منهم في تأصيل هذه الكذبة و في حيازة شرفها في السجلات الشرعية و أمام الدولة العثمانية المسكينة التيطالما ضحك هؤلاء و أمثالهم من المشايخ و خبثاء الدراويش على لحية سلاطينها ، كما لعب قروي راهب كذاب اسمه راسبوتين بتاريخ روسيا و بنساء ملوكها و أمرائها في أواخر عهدها القيصري ..

- و قد كاتت نقابة الأشراف في حمص محصورة في أسرتين معروفتين ، وهم : آل الزهراوي و آل الحراكي . و لم يكن لآل الأتاسي فيها مثقال حبة من خردل .. عبر تاريخهم الطويل في مدينة حمص و الذي امتد حوالي خمسة من القرون !!
- و برجوعك إلى كتاب الأستاذ المؤرخ المدقق : نعيم الزهراوي عن مدينة حمص و أسرها ، ستضحك ملء شدقيك و أنت ترى عشرات و عشرات من الأسر الحمصية تنتسب كلها – نعم كلها – إلى الحسين (ع).. نفسِه أجَلْ.. لا غيره !!.
- و لعلك ستضحك أكثر و أنتوى الأستاذ نعيم الزهراوي ، صاحب الكتاب، (و هو من هو في نسبه الهاشمي الراسخ) و الذي ابتلع أكاذيب الأسر الحمصية كلها و مزاعمها في الانتماء إلى آل البيت الطاهرين ، قد غصّ في كذبة بني الأتاسي المساكين ، فألقمهم حجراً ثقيلاً هتَمَ به ثناياهم وذلك حين عقّب على بحثٍ ضافٍ مضنٍ ألّفه و لفّق حججه " الأستاذ باسل العطاسي ثم الأتاسي " في دحض أصوله التركمانية و في إثبات نسبه في آل العطّاس اليمنيين الذين هم بدورهم يزعمون لنفسهم نسباً علوياً عبر الحسين (ض)!! ، فقال الأستاذ الزهراوي في صـ ٣٢٠:

" هذه التخريجة (أيهذه البرمة كلها) لا تنفي الصفة التركمانيةالمميزة المسجلة في ا لمدوّنات التاريخية القديمة ".

تحليل للبحث الذي نشره الأستاذ باسل العطاسي ثم الأتاسي عن أصولهم :

أولاً : وضَعَ الأستاذ باسل مسبقاً ما كان يريد إثباته في بحثه و ضعه عنواناً تقريرياً لبحثه و هو :

" فضّ الخلاف في أصول السادة بني الأتاسي العرب الأشراف"

و هذا قبل أي شيء آخر مما لا يتفق و أصول البحث النزيه .

ثانياً : كان مدار بحثه الطويل المضني على أمرين :

١. ربط نسب آل الأتاسي (الأطاسي من غير تشديد على الطاء ، كما كانت تكتب في ترجمة أوائلهم) بآل العطّاس ، لماذا ؟

لأن اللفظين متقاربان نوعاً ما ، ثم وراء ذلك هدف بعيد و لكنه شديد الخبث ، فما هو ؟ إن آل العطّاس عرب و هم معرفون في اليمن أيضاً بآل با علوي ، و الأهم من ذلك كله هو ما يزعمه أولئك العطاسون من نسب هاشمي ينتهي بالحسين السبط (ض) ، وهم معرفون به هناك (في اليمن) . و هكذا فإذا نجح الأستاذ باسل في لعبته هذه فقد ضرب عصفورين بحجر واحد !! :

أولهما : أنه تخلص من أصله التركماني الذي بات يخنق آل الأتاسي منذ زوال دولة التركمان العثمانية و ذهاب الفائدة منه ، بل لقد أصبح عبئاً يكدّهم بعد غلبة التيارات القومية العربية .

و الثاني : أهم و أبقى فائدة في اكتسابه بكل بساطة (و بطريقه) نسباً هاشمياً مصنوعاً جاهزاً كان قد تعب في تلفيقه و صناعته آل العطّاس اليمنيين من قبل ..!!

٢. التخلص مما لصق بهم من أصلهم التركماني :

ها ها .. ولكن بقيت ها هنا مشكلة تاريخية مدونة في كتب التراجم ، و يعرفها القاصي و الداني ، و هي مشكلة قدوم جدهم الأول علي الأتاسي مع دخول العثمانيين التركمان بلاد الشام ، ثم مشكلة الأصل التركماني الصريح الراسخ للمفتي الأول من سلالتهم و صانع طريق أمجادهم الشيخ : أحمد بن خليل بن علي الأطاسي ، هذا الأصل التركماني قد ذكره و أكّده (بلا أي تردد أو تحفّظ) كل من أرّخ و ترجم له من أصدقائه و أنداده من العلماء المعاصرين له تقريباً .

و إذن .. كيف سيحلّ الأستاذ باسل هذه الأحجية ، و كيف سيخلص قومه من هذا الأصل التركماني الصريح الواضح الذي دوّنه المؤرخون المعاصرون لأجداده الأولين ، و كيف سيفسّر سكوتهم و رضاهم بما ذكر من أصلهم التركماني حتى وقت قريب ؟!

بسيطة .. ليس أمام آل الأتاسي و الحالة هذه سوى أن يزعموا (افتراضاً) أن جداً ما من أجدادهم الأولين من آل العطّاس اليمنيين (لانعلم نحن و لا يعلمون هم من يكون) اختار أن يهاجر إلى الأناضول -تركيا (لأمر ما .. ربما ليعلم التركمان دينهم !) و لكن متى كانت هجرته هذه ؟ و في أي مكان من بلاد الترك نزل هذا العالم القرشي الهاشمي الجليل ؟ !! و متى يا ترى عاش هذا العالم العطّاس ۞ و من كان من نسله الشريف من لدنه و حتى عرفنا واحداً من أحفاده أكرمه الله بالرجوع إلى بلاد العرب ، فكان رأس أسرة و سلسلة من المفتين الأحناف في حمص ؟ هذه كلها أسئلة لا يعرف أحد جواباً عليها .. لماذا ؟

ببساطة لأن آل الأتاسي كانوا في ما مضى من تاريخهم القديم ناساً من الناس ،بسطاء لا مجد لهم و لا سابقة من سؤدد و لا جاه ، حتى كتب الله لجدهم أحمد المفتي الأول أن يلقى السلطان العثماني سليمان بمعية شيخ آخر ، فيرضى عنه السلطان و يسند إليه هذا المنصب الديني الجليل عند العثمانيين و عند التاس في زمنه ..

فهل تعتقد –ولو للحظة وا حدة ! -أن ناساً يمكن أن يكون لهم و لو شبهة من النسب الهاشمي ، و قد نزلوا مهاجرين من بلاد العرب المقدسة ، و أين في بلاد الأعاجم الأتراك ثم سيبقون هنالك مغمورين مجهولين ؟!! طبعاً هذا مستحيل ..

خذ عندك آل الكيلاني مثلاً ، فـ هؤلاء مشهور أصل أسرهم الهاشمي ، و معروف أن بعضاً من أجدادهم الأوائل كان قديماً قد نزل في جيلان و هي في إقليم آذربيجان ، وأقاموا بها زمناً و أجيالاً ، ومع ذلك لم يخفَ أصلهم الهاشمي على أهل جيلان من العجم و لم ينسوه أبداً ، بل لقد عرفوا بينهم بـ(آل زنكي دوست) وتعني بالفارسية (آل عظيم القَدْر = ذوي النسب الشريف) فلما هاجر عظيم أجدادهم الشيخ الصوفي الشهير عبد القادر إلى بغداد ، عرف هناك بـ "الجيلاني" ، و هو أول من عرف منهم بهذه النسبة ، و من هناك توزعت فروع سلالته في بلاد الشام و مصر و غيرهما من بلاد المسلمين .. و كان آل الجيلاني (الكيلاني) حيثما حلّوا كانت تسبقهم شهرة نسبهم الشريف إلى حيث هاجروا ، وما كانوا يحتاجون إلى من يطبّل و يزمّر لنسبهم هذا !! ([1]).

---

[1] راجع الأعلام للزركلي

بعض من نكات آل العطَّاس الأشراف الأكارم :

لا بد لنا بعد هذه الجولة المتعبة من أن نروّح على القراء ببعض من مضحكات آل العطّاسي ثم الأتاسي الأشراف الأكارم (عليهم السلام) ، و لن نأتيَ بشيء من عند أنفسنا ، بل سأحيلكم إلى ما كتبه الأستاذ الهمام باسل العطاسي ثم الأتاسي (عليه السلام)،
(من بحثه المنشور على الانترنت بعنوان our origins و هو مطبوع منشور ضمن كتاب الجذر السكاني الحمص لنعيم الزهراوي) :

- يروي لنا الأستاذ باسل (قدّس الله سره) تفسيراً للقب العطّاس منقولاً عن أحد مشايخ آل العطّاس في اليمن هو علي بن حسن العطّاس في كتابه " القرطاس في مناقب الحبيب عمر بن عبد الرحمن العطّاس " :

((.. ولُقّب بالعطّاس لأن ذلك كان كرامة (معجزة) له ، فإنه عطس في بطن أمه ، فحمد الله و سُمِعَ ذلك منه))!!!

و يبدو أن هذا الجنين المقدّس ، لم يكن و حده من حاز هذه الكرامة ، بل هو من سلالة كاملة من الأولياء العطّاسين في أرحام أمهاتهم .. هاهو يكمل مارواه في كتاب "القرطاس " فيقول بعد ذلك :

((و أول من عطس في بطن أمه (من سلالة بني العطاس) هو سيدنا عقيل بن سالم شقيق الشيخ أبي بكر بن سالم ، فصارت باقيةٌ في عقبه، غير أنه لم يشتهر بها من أولاد سيدنا عقيل إلا سيدنا عمر بن عبد الرحمن ، فإنها صارت علماً عليه وعلى أولاده ..)) !!!

فإذا كان معلوماً في علم الجنين الحديث أن الجنين لا يتنفس الهواء و لا يستعمل رئتيه مطلقاً ، بل هو مغمور مع رئتيه بالسائل الأمنيوسي غمراً ، وإنما يتغذي و يتنفّس عبر أوعية الحبل السُّريّ التي تصله بدماء أمه حتى خروجه تماماً عند الولادة !! فكيف عطس أولئك العطّاسون الأشراف الأكارم في أرحام أمهاتهم ؟!

و إذا جازت هذه الأكذوبة قديماً بين قوم كانوا أشبه بسكان الكهوف في جهلهم و إيمانهم بالخرافات و الشطحات .. فكيف يجرؤ رجل مثقف متعلم يحترم نفسه كالأستاذ "باسل العطاسي ثم الأتاسي أنْ يرضى برواية هذه الأكاذيب ،لا على سبيل تفسير اللقب القديم فحسب ، بل لقد رواها عامداً مصدّقاً لها ، مقراً بها حين عقّب على ما رواه الشيخ علي العطّاس صاحب " القرطاس" فقال :

((انتهى ما جاء في القرطاس للحجّة الزعيم الاجتماعي المصلح علي بن حسن العطّاس ، وكلامه حُجّة لمن عرفه و عرف خدماته العلمية و الاجتماعية و الإنسانية ، رضي الله عنه)) !!!

- ثانياً : حتى يعود الأستاذ باسل الأتاسي فيؤكّد صلة آله بأولئك " العطّاسين " الأشراف الأكارم أصحاب " كرامة العطس في الأرحام " .. و بطريقة خفية خبيثة لم يكتفِ بما ذكر شيخه العطّاس الحجة الصدوق ، بل أتبع ذلك بقوله :

((و لم تفتأ هذه القصة تتناقلها أجيال آل الأتاسي ، فقد كانت جدتي لوالدتي ، وهي من آل الأتاسي ، تخبرني في صغري أن أحد أجدادنا كان قد عطس في بطن أمه ، فحَمِدَ الله .. فشمَّتَتْه أمُّه ، فصارتْ كرامتُه علَماً على سلالته))!!.

و لاحظ كيف أن كذبة آل العطّاس حين وصَلَتْ إلى آل الأتاسي ، وجدتْ أرضاً خصيبة فأنبتَتْ سبعَ سنابل !! ..

- و لعل الأكثر إضحاكاً أن ترى الرجل يكذب كذبته اليوم ثم يصدّقها في غد ، و ينسى أن ابتداء أمره كان اختلاقاً و تزويراً و بهتاناً ، و يغفل أو يتغافل عن أن الناس كانوا شهوداً على ما لفّق و زوّر ؛ فقد عمد الأستاذ باسل الأتاسي و بعض من آمن معه من آل الأتاسي ، وتواطؤوا على ترسيخ كذبتهم في انتسابهم إلى آل البيت النبوي ، و جهدوا في توطيدها في المحافل و المنتديات و حيثما أمكنهم ذلك ، لأنه يعلم أن الشائعة إذا طال تداولها انقلبت حقيقة يصعب ردّها إلا بالجهد الجهيد ، فلما طال بهم الوقت على دأبهم هذا ، توهّموا أن زعمهم هذا نفَقَ سوقُه و راجَتْ بضاعته ، و حسبوا أن الناس – ولاسيما في هذا الزمن العجلان الذي لا وقت فيه للتحقّق و التثبّت ولا للفحص و الفرز – لا بدّ أنهم قد جاز عليهم نسب الأتاسيين في بني هاشم فمن أجل ذلك تذامروا و دعوا إليهم أمثالهم من أدعياء النسب الهاشمي فأنشؤوا لأنفسهم موقعاً (منتدى) على شبكة الانترنت أسموه :

((منتدى الأشراف))!!

- و أما آخر حيل الأستاذ باسل الأتاسي المكشوفة المضحكة في طلي أكاذيبه فكانت أن يتوجه في آخر مقاله الطويل إلى آل الأتاسي بلهجة الواثق المستيقن ناصحاً لهم ، بعد أن عرَّفهم ما لم يعرفوا من أصلهم الهاشمي الراسخ في الشرف ، أن لا يقف بهم الأمر عند شرف محتدهم ، و نبههم إلى أنهم و إن كانوا راسخين في انتمائهم إلى النبي محمد (ص) رسوخاً لا يميد و لا يهتز ، فإنه لا ينبغي لهم أن يتقاصروا في عملهم معتمدين على شرف أصولهم و عراقة منبتهم !

و لا يخفى عليك خبث هذا الأسلوب .. في أن لا يترك شائبة من شبهة في نفسك أو نفس أي أتاسي يقرأ مقاله و هو يرى الرجل ينصح أهله على النحو الذي ذكرت !

و إذن نقول لأجل الحقيقة و التاريخ .. لقد كان مرأمثال آل الأتاسي في انتحالهم نسباً عربياً كثير في التاريخ ، و لهم جميعاً نهدي هذه الأبيات التي قالها شاعر عربي ذاق المرار من هؤلاء العلوج المستعربين الأدعياء ، قال دعبل ([1]):

همْ قعَدوا فانتَقَوا لهم حسَباً يجوز بعدَ العشاء في العَرَبِ
حتى إذا ما الصباح لاحَ لهمْ بُيِّن سَتّوقُه من الذهبِ
و الناس قد أصبحوا صيارفةً أبصرَ شيءٍ بزئبقِ النسَبِ

****

[1] ديوانه صـ٣٤